

في رثاء المرحوم محمود درويش

فإلامَ يُخلفُ يومنا الموعودُ؟
الحلمُ يعبثُ والعيانُ يكيّدُ
يومٌ علينا لا يزولُ مديدُ
أثرى سيرجعُ حقنا المفقودُ؟
في دارهم لا يستقرّ وجودُ
حارت خطانا والخلاصُ بعيدُ
والشامتون على الدروب حُشودُ
وعلى الحواجز كم يموت وليد!
تأوي ولكن سيها مطرود
البيّن يزمن والحصانُ وحيدُ

زمنٌ يمرُّ وذكريات سودُ
ستين عاماً ليس يزهر لوزنا
يومان عيش الآخرين وعيشنا
كلُّ الشعوب تنال يوماً حقها
كلّ الديار لأهلها، ولأهلنا
ضجّ الشتات بنا وطال فراقنا
قدرُ المنافي ان تكون نصيبنا
تجد السلاحف مأمناً لصغارها
سيان نحن بيوثنا اجسادنا
نقق يطول ولا منارة بعده

فنبأ بسقمك ذلك المجهود
قلباً يذوب من النوى ويميد
لا يستقلّ بها الفتى المرّيدُ
حتى توقّف حَقْفَةُ المكدودُ
واليومَ تُبكي الركب حيث تعود
يشكو اليتيم ويندبُ المكبودُ
بين المواجه شاهدٌ وشهيدُ

قضت القضية ان تكون لسانها
ضيّعتَ عمرك في المنافى حاملاً
منفىً الى منفىً وكلُّ مسيرةٍ
مُضناك قلبك لم تسابيرُ ضعفه
ألّيتَ تحدو الركب يوم رجوعه
رباهُ لا عتبُ عليك وإنما
اثان نحن من الورى في عيشنا

طوعَ اليراع كما تشاء يروء
فإذا الكلامُ اساور وعقود
تُخفي وتكشف سيرها وتُجيدُ
همنا بصورتها وغار حسود
وإذا نأيت فنورها مشهود
نُبدي بعشق فنونه وتُعيد
أيّا جمعتَ فجمعها محمود
بين المراجع حكمة وقصيد
إلا لمن ترقى به وتسود
ملاً الدنيا والعالمون شهود

يا فارس الحرف الشّرود تسوقه
كالنرد تحكّمه وتُحكّم صوغه
يا لاعب الورق الثلاث بحرفه
ما بين وحيك والحروف مشورة
نارٌ حروفك ان دنوت حرقنا
سحرٌ حروفك سارحٌ بعقولنا
تأبى الحروف على لسانك زلة
الحرف حرفة من حصيلة عمره
والابجدية لا تبوح بسرّها
والضاد تعرف كيف تُكرم شيخها

من نسج كَفْك ظلّها الممدود
ما ليس يبعد عن مدى ويحيد
ويصير اصفر إن جفانا العيدُ

يا زارع الكلمات تنبت ايكه
فصلته ظلّاً أنيقاً مثلها
يخضر حين يزوره عيدٌ لنا

من نُسغِ حِسِّكَ تستمدُّ عُرُوقَهَا
رِيًّا يَدَاعِبُهَا الحَنِينُ فتنثنى
حَرَى إِذَا المحتلُّ جاوزَ حَدَّهُ
الأَيِّكُ يكبِّرُ والظلالُ وريفةً

ويقدرُ حَبِّكَ ظلُّهَا مقصودُ
سَكْرَى وتملكها العيونُ السُّودُ
هل كان يوماً للطغاةِ حدودُ؟
والنسغُ يَدْفُقُ والخلودُ اكيدُ

يا كاسِيَ المعنى البديعِ إزارَه
نقُّ الكلامِ على مزاجكُ جُملةً
وتصيرُ بينَ العاشقينِ رسولهم
هي جملةٌ والكونُ حاصلُ جملةٍ
والرمزُ منذُ البدءِ كان مقدَّساً
يابى بيائكُ ان يكونَ تعريًّا
للصيدِ في البحرِ العميقِ مخاطِرًا

والثوبُ يَسْبِي العينَ وهو جديدُ
يرنو إليها الصَّفُّ والتنضيدُ
ويطيرُ مشدوداً إليها العودُ
فالقولُ بدءٌ والكلامُ وجودُ
ومع الرموزِ عبادةٌ ونشيدُ
تخفى فتلعبُ بالخيالِ قدودُ
لا تخبرُ الصيَّادَ كيف يصيدُ

يا صاحبَ الشعرِ الجميلِ فتننتنا ،
وطنَ الكلامِ جعلته وطاناً لنا
نبني البيوتَ من الحروفِ تعزياً
في خبزِ شعركِ ما يعوِّضُ جوعنا
تحكي الروايةَ انَّ قصةَ حينا
تروي الحكايةَ اتنا في عشقتنا
بالشعرِ تجمعننا وتجمع رأينا
ستزولُ عنك وعن ترابكِ نكبةً
سقتِ الهواطلُ في ثراكِ مناظلاً
باقٍ على الأيامِ ذكركِ بيننا

نحن الرواةُ وقولنا ترديدُ
لك ما تريدُ وما تريدُ تُريدُ
والظلمُ يسرقُ أرضنا ويشيدُ
وبماءِ شعركِ يصدقُ التعميدُ
تبقي وانتِ الشاعرُ المعدودُ
في كلِّ بيتِ قارئٍ ومُريدُ
ورؤاكِ تهدينا وانتِ تقودُ
واللوزُ يزهرُ والحياةُ تجودُ
وجزاكِ عنَّا الرحمةُ المعبودُ
ويظلُّ يكبِّرُ في العلى وي زيدُ
